



2019-03-06

قسم الأبحاث

مشهد الجهادية الصومالية: قراءة في الأنماط والأيديولوجيا والفواعل الرئيسة

صهيب عبد الرحمن

كاتب وباحث صومالي

مقدمة

لقد هيمنت مختلف التيارات الجهادية على الساحة الصومالية في العقود الثلاثة الأخيرة؛ حيث أفسح انهيار الدولة المركزية الصومالية المجال للأيديولوجيا الجهادية لتقديم أحد نماذجها لتحقيق الدولة الإسلامية المنشودة، كما عرفت الصومال انتشار سائر التيارات الإسلامية الأخرى، وإن بتفاوت؛ فمن الإخوان المسلمين، إلى التيارات التكفيرية، ووصولاً إلى السلفية العلمية، عانت الساحة الصومالية من طموجات الإسلامويين بمتخلف مشاربهم الرامية إلى الوصول إلى الحكم، وفرض تصوراتهم عن المجتمع والسياسة والدولة.

في هذا النطاق؛ يسعى هذا البحث إلى تقديم صورة عامة حول المشهد الجهادي في الصومال، لتحديد الفواعل والاتجاهات الرئيسية منها، كما يرسم البحث التطورات التي مرت بها تلك الفواعل، ويرصد أشكال حضورها في المشهد الاجتماعي والسياسي الصومالي الراهن.

وفي سبيل ذلك؛ يتوخى البحث المنهج التاريخي والتحليلي معاً، لتناول نشوء ظاهرة الجهادية الإسلامية في الصومال، مروراً بفترات ذروتها القصوى، ووصولاً إلى التراجع الذي تعيشها الآن، في زمن انحسار سيطرتها الشاملة، دون أن يعني ذلك موتها تماماً، ومن خلال ذلك كله؛ يسعى البحث إلى تقديم مقارنة أوسع للجهادية الصومالية؛ حيث سننظر إليها بوصفها ظاهرة غير متجانسة تشمل مجموعات متنوعة من الفاعلين المتميزين من ناحية الأيديولوجيا، والمراجع، والمشروع.

أولاً: تحديد أنماط الجهادية الصومالية

سجلت الجهادية الإسلامية حضوراً مبكراً في الصومال، ويعدّ الاتحاد الإسلامي (IAIA) أول تيار جهادي برز على الساحة الصومالية في أوائل التسعينيات، وكان هذا الكيان يدعو إلى للنضال المسلح لإقامة دولة إسلامية في الصومال، وفي منطقة الإقليم الصومالي في إثيوبيا⁽¹⁾، تلتها حركة المحاكم الإسلامية التي بزغ نجمها في أول الأمر، عام 1998، لكنها اختفت بعدها بسنتين، ليعود نجمها بقوة، عام 2004، مع بروز اتحاد المحاكم الإسلامية (UIC)، الذي تمكن من فرض سيطرته على مقديشو، في

Al-Ittihad al-Islami (AIAI) : <https://fas.org/irp/world/para/ogadin.htm> -1

منتصف عام 2006، بيد أنه هو الآخر انتهى حكمه فعلياً بتدخل القوات الإثيوبية في الصومال، في كانون الأول (ديسمبر) 2006.

وفي سياق النشأة؛ يمكن أن نشير إلى نموذجين متباينين حول رؤيتهما بماهية وحدود النضال الإسلامي المسلح في الصومال:

أ- نموذج يسعى إلى تحقيق الدولة الإسلامية في داخل الحدود الصومالية:

ويعدّ اتحاد المحاكم الإسلامية أبرز الممثلين لهذا الخطاب، ويُعزّي بعض الباحثين هذا الأمر إلى التركيبة المعقدة للاتحاد⁽²⁾؛ حيث لم يكن بمقدوره اتخاذ موقف واضح حول العلاقة بين الدين والسياسة، دون أن يُثني ذلك عنه المناداة بتأسيس دولة إسلامية، إلا أنّ الاتحاد كان يطرح هذا ضمن حدود الأمة الصومالية، حيث سعى في خطابه إلى تقديم رؤية تدمج تصورات نضال القومية الصومالية للمطالبة على أراضيها على مفهوم الجهاد والدولة الإسلامية في إطار السياق الصومالي.

وبوجه عام؛ اتخذ الاتحاد الإسلامي بمفهوم الجهاد بوصفه أيديولوجيا دينية تهدف ملء الفراغ الذي تركه سقوط الدولة، واستند في ذلك إلى مبدأ الحاكمية الذي ينصّ على كفر الديمقراطية، والأنظمة المحلية التي تكونت عقب استقلال الصومال، خاصة التجربة الإشتراكية الصومالية التي عُرفت باصطداماتها المتكررة مع رجال الدين ومع المؤسسات الدينية الاجتماعية.

ب- نموذج يسعى إلى الانخراط بالجهادي العالمي لإقامة الخلافة الإسلامية:

منذ التسعينيات؛ برزت في الصومال أصوات منادية بإقامة الدولة الإسلامية، فقد مثل العائدون من الجهاد الأفغاني نواة التأسيس الأولى لهذا الخطاب العالمي، وتم في هذه الفترة افتتاح معسكر جهادي في كسمايو، يحمل اسم معسكر «خالد بن الوليد»، كما عقبه افتتاح معسكرات أخرى في مناطق «غدو» و«راس كامبوني».

ويرى هذا التيار ضرورة الارتباط مع النضال الإسلامي العالمي، في أفغانستان والعراق وفلسطين، وقد أدى اعتلاء حركة الشباب هُرم الساحة الجهادية الصومالية، إلى تعزيز هذا الخطاب عبر نسجها علاقات وثيقة مع الجهادية العالمية، التي وصلت إلى مرحلة إعطاء البيعة لتنظيم القاعدة، وقد نتج عن ذلك تدفق أعداد كبيرة من الجهاديين الأجانب إلى الصومال، وهو ما أدّى من ناحية أخرى، إلى وقوع شرح بين أولئك الذين يرون الجهاد كشأن صومالي محلي وبين الخطاب الذي يدافع عن ارتباطه بالجهاد الإسلامي العالمي.

ورغم أنّ فكرة إقامة دولة إسلامية هي أساس ظهور جُلّ التيارات الجهادية الصومالية، فإنّ ثمة إغراء شكلته هذه فكرة إقامة الدولة الإسلامية؛ إذ ظهرت هذه الفكرة دوماً بوصفها احتجاجاً على ضياع الأمة الصومالية وتجزئتها؛ فلقد عاش الصومال الاحتلال الغربي، وعانى من التجزئة الاستعمارية، ومنحت بعض أقاليمه لدول الجوار، وفي النهاية سقطت الدولة، ما ساعد في استعادة يوتوبيا الخلاص المتمثلة بإقامة دولة إسلامية على نمط الخلافة.

وهذه السلسلة من الإخفاقات دفعت إلى بروز تشكيلات أيديولوجية جديدة تسعى لبناء منظومة جهادية تسعى إلى رفع الهيمنة الغربية والأجنبية عن المنطقة الصومالية، عبر بناء أيديولوجية خطابية مناهضة للهيمنة الأجنبية على الصومال.

ثانياً: أيديولوجيا السلفية الجهادية

إنّ السلفية الجهادية هي الأساس الأيديولوجي الجامع بين كل الفواعل الجهادية على الساحة الصومالية، إلا أنّ تطبيقات المفاهيم المؤسسة على سياسة الأولويات والتوازنات في التعامل مع الواقع الموضوعي مثلت جوهر الخلاف بينهما. وساهم الاحتلال الإثيوبي للصومال في تقارب وجهات النظر المختلفة؛ حيث تحالفت كلّ التيارات الإسلامية، عدا الإخوان المسلمين، للقتال ضدّ الغزو الإثيوبي، وأُجبرت جميع الحركات والجماعات السلفية الجهادية على الانضواء تحت لوائه.

لكن، حسبما يلاحظ رولاند مارشال⁽³⁾؛ كانت الحدود الأيديولوجية في الصومال مائعة، غالباً؛ بمعنى أنّ المقاتلين قد ينتقلون من مجموعة إلى أخرى بسهولة، والسبب الرئيس

Somalia: To Move Beyond the Failed State, Roland Marchal, 23 December 2008 -3
<https://www.crisisgroup.org/africa/horn-africa/somalia/somalia-move-beyond-failed-state>

لهذا الأمر، هو استمرار الولاءات العشائرية، التي تتنافس مع الانتماء الديني، وقضية أمراء الحرب والسلوكيات التي نجمت عن الحرب الأهلية على شاكلة الهياكل المسلحة القائمة سلفاً داخل التيارات الجهادية، أثرت على مدى صلابة الحدود الأيديولوجية بالمعنى التقليدي.

الحدود الأيديولوجية الوحيدة والواضحة التي تجمع مختلف التيارات الجهادية، كانت وما تزال؛ رفض التدخل الأجنبي؛ خاصة التدخل الإثيوبي، الذي ينظر إليه من جانب كثير من الصوماليين على أنه العدو التاريخي للشعب الصومالي، ويغتصب أراضٍ صومالية، ألحقها الاستعمار البريطاني.

ويمكن القول؛ إنَّ البيئة الصومالية خصبة لاستمرار أيّ خطاب جهادي، ما دامت توجد قوات أجنبية في داخل الصومال، ولا مناص من أنّ القوات الأجنبية سبتقى في ظلّ غياب جيش وطني موحد قادر على ضمان استقرار البلاد.

ثالثاً: الفواعل الرئيسية

من المعروف أنّ الجهاد الأفغاني ضدّ السوفييت استقطب معظم رموز السلفية الجهادية ومنظرها حول العالم، وبعد خروج السوفييت من أفغانستان تشكلت ظاهرة «الأفغان الصوماليين»، على غرار «الأفغان العرب»؛ حيث أضحت الصومال ساحة من ساحات الجهاد التضامني «للأفغان الصوماليين» و«الأفغان الأفارقة»⁽⁴⁾، من دول الجوار بعد تعرّضهم للملاحقة والتضييق والاعتقال في باكستان، ومن هناك تأسست أولى الحركات الجهادية، لتتعاقب وتتكاثر منذ تلك اللحظة، وسنقوم فيما يلي بتناول هذه الحركات، بحسب أقدميتها التاريخية:

1- الاتحاد الإسلامي

بعد أيام فقط من سقوط الدولة المركزية في الصومال بدأت المنظمة، التي عرفت بوقتذاك باسم «الاتحاد الإسلامي»، بالظهور، وأنشأت معسكرات للتدريب في كسمايو، وتم تداول تسجيلات تم جلبها من أفغانستان تعود للشيخ عبد الله عزام عن الجهاد،

44- الصومال بين نار الولايات المتحدة ومزاعم بن لادن وغموض «الاتحاد الإسلامي»، الجماعات الأصولية الإسلامية الصومالية خرجت من قلب الحرب الأهلية، الحلقة الثالثة، صحيفة «الحياة»، 12 كانون الأول (ديسمبر) 2001.

<http://www.alhayat.com/article/1072298>

بأيدي العائدين من الجهاد الأفغاني، وأبرزهم: آدم أحمد عرالي، وإبراهيم حاج جامع (إبراهيم الأفغاني).

وبفعل الخبرة التي كان يتمتع بها العائدون من الجهاد الأفغاني، تم اجتذاب الجهاديين من الخارج، وحسبما يروي كتاب «داخل حركة الشباب: التاريخ السري لأقوى حليف لتنظيم القاعدة» فقد حصلت اصطدامات بين معسكرات الاتحاد الإسلامي والتنظيمات القبلية وأمراء الحرب، مثل؛ الجنرال محمد عديد، الذي خاض معارك عديدة مع الجهاديين في وقت مبكر من التسعينيات⁽⁵⁾.

وبفعل هذه الاصطدامات، تلقى الاتحاد بخسارات جسيمة، مما دفعه إلى إغلاق اخر المعسكرات الجهادية في الصومال، في أيلول (سبتمبر) عام 1997؛ حيث اجتمع قادة «الاتحاد» في مدينة مقديشو، بقيادة محمود عيسى، أمير الجماعة وقتئذ، والقيادي في الاتحاد، الشيخ علي ورسمه؛ ليعلنا فشل المشروع الجهادي في الصومال، وإلقاء السلاح والتوجه إلى مجال الدعوة، لكن كان هناك جناح رافض لهذا القرار، وتمسك هذا الجناح بمواصلة العمل الجهادي، والاستمرار في الحرب مع جبهة «إس إن إف»، وكان معظم من الشباب المتحمس، باستثناء القياديين البارزين؛ طاهر أويس، وحسن تركي.

وفي نهاية المطاف؛ قاد الانقسام حول حلّ منظمة الاتحاد الإسلامي إلى ولادة ثلاثة أجنحة للتيار الجهادي:

الاعتصام، السفلية الجديدة، والسلفية الجهادية، وهؤلاء ستنبثق من داخلهم لاحقاً حركة الشباب المجاهدين.

وعلى الفور، تواصل الجناح الشبابي الرافض لحلّ مشروع الجهاد، ومن ضمنهم من تدرب في أفغانستان، مع يم تنظيم القاعدة، أسامة بن لادن، الذي أبدى أسفه على حلّ الاتحاد الاسلامي نفسه، ونسجوا مع تنظيم القاعدة علاقات تضامن جهادي في تلك الفترة المبكرة⁽⁶⁾.

Dan Joseph Indiana 'Inside Al-Shabaab: The Secret History of Al-Qaeda's Most Powerful Ally, Harun Maruf -5
University Press, October 2018. P, 56

Inside Al-Shabaab. Op. Cit -6

1- المحاكم الإسلامية

عام 1998؛ ظهر إلى العلن ما عرف بالمحاكم الإسلامية، وفي أول الأمر عملت تلك المحاكم على محاربة قطاع الطرق، وحلّ خلافات الأراضي بين الناس، والحفاظ على الأمن العام، وحلوا أنفسهم بعد مؤتمر عرته عام 2000، وسلموا سلاحهم لأول دولة نشأت بعد الانهيار.

لكن ستعود المحاكم، في نهاية عام 2004، حين اجتمعت المحاكم المكونة من خلفيات مدنية ودينية وتقليدية؛ مثل التجار وشيوخ القبائل وأعيان المدينة في مدينة مقديشو، وأعلنت قيام «اتحاد المحاكم الإسلامية»؛ المؤلفة من سبعة محاكم ترأسها الشيخ شريف الشيخ أحمد، الذي سيصير لاحقاً رئيس الحكومة الانتقالية.

المحاكم كانت أساساً تنظيمياً مركباً، يضم في صفوفه تحالفات معقدة⁽⁷⁾، لكنه اختلط مع بعض أسماء العمل الجهادي، مثل: طاهر اويس، وإبراهيم الأفغاني، ومختار روبو وآدم عيرو، وممّا قوى شوكة التيار الجهادي داخل المحاكم؛ بحث تنظيم القاعدة الحصول على موطن قدم في الصومال وتوسعة نطاق نشاطها في ذلك الوقت.

حركة «الشباب المجاهدين»

حركة «الشباب المجاهدون»؛ هي الفاعل الجهادي الرئيس على الساحة الصومالية، على الإطلاق، وظهرت الحركة في أول الأمر كجزء صغير من تشكيلات اتحاد المحاكم الإسلامية، لكنها اكتسبت قوة متزايدة في أعقاب التدخل الإثيوبي، وتسيطر حالياً على أجزاء أكبر من جنوب ووسط الصومال.

أعلنت الحركة نفسها كمنظمة مستقلة عن اتحاد المحاكم بشكل رسمي، في آب (أغسطس) عام 2006، وهم الأولوية والسرايا المكونة من معسكر صلاح الدين ومعسكر راس كامبوني، وتم انتخاب إسماعيل محمود عرالي كأول أمير للحركة، وتولى حسن يوسف «أندي عدي» وزارة الدفاع، وعُيّن مختار روبو نائباً له، في حين تولى أحمد غودني «أبي الزبير» القيادة الأمنية.

7- تجربة المحاكم الإسلامية في الصومال- تألف الخصوم، عبد الواحد شافعي- كاتب صومالي مقيم في لندن، مركز المسبار للدراسات والبحوث ، ٢٢ أبريل ٢٠١٨.

<https://goo.gl/zDsDZG>

ومع تفكك اتحاد المحاكم الإسلامية، إبان الغزو الإثيوبي، ظهرت حركة الشباب كقوة مقاومة وحيدة متبقية ضد الاحتلال الأجنبي، وبين عشية وضحاها؛ انتقلت الحركة من كونها جزءاً صغيراً من الحراك الإسلامي من أجل «تحرير» الصومال إلى طليعة ذلك النضال.

ففي كانون الأول (ديسمبر) 2006؛ دخلت القوات الإثيوبية العاصمة الصومالية، وأطاحت بحكم المحاكم الإسلامية، لتؤسس المحاكم ما سُمي بـ «المقاومة الشعبية»، لردع العدوان الإثيوبي، لكن سرعان ما ظهر رفض «الشباب» القتال في صفوف المقاومة؛ حيث قدموا أنفسهم كفصيل متميز عن باقي تشكيلات المقاومة بميله إلى الراديكالية⁽⁸⁾.

لكن الحركة تلقّت ضربتين كبيرتين؛ واحدة بإصابة جروح بالغة بالقيادي أحمد مدوبي (حاكم ولاية كسامبو الحالي)، واختطاف الإثيوبيين له، والثانية كانت خطف المخابرات الأمريكية أمير الحركة في جيبوتي، وهو يحاول دخول أريتريا بوثائق مزورة؛ وهذا ما دفع الشباب إلى العودة إلى صفوف المقاومة والاتحاد معها من جديد، لكنه ظلّ اتحاداً مرحلياً وفي غاية الحذر.

وتعتنق الحركة أيولوجيا السلفية الجهادية، وتؤطر كفاحها بشكل أكثر صراحة من كل الفواعل الجهادية الأخرى ضمن رواية الجهادية العالمية؛ حيث ترى أنّ قتالها ضد الحكومة الاتحادية الفيدرالية وقوات حفظ السلام التابعة للاتحاد الإفريقي (AMISOM) امتداداً للحروب التي تُخاض ضدّ القوات الأمريكية والغربية في مناطق مثل العراق وأفغانستان، ومع ذلك؛ هناك بعض الخلاف حول حدود الجهاد داخل الشباب وما إذا كانت القيادة موحدة حول هذه المسألة، في حين يؤكد بعض الباحثين، أمثال تارنبي ولارس هولدايك⁽⁹⁾، أنّ إقامة خلافة إسلامية أمر راسخ في حركة الشباب، يرى مارشال⁽¹⁰⁾؛ أنّ الحركة غير متجانسة إلى هذا الحدّ، ويدعي أنّ هناك تناقضاً واضحاً بين وجهة نظر القيادة وبين وجهة نظر غالبية أعضاء الحركة.

8 - انظر مراجعة كتاب «داخل حركة الشباب»، صهيب عبد الرحمن، موقع صحيفة حفريل. 2019-02-02
<https://goo.gl/bLP7vX>

9 - ISLAMISM IN THE HORN OF AFRICA: Op. Cit, P 24

10 - ISLAMISM IN THE HORN OF AFRICA: Op. Cit, P 24-25

وفيما يلي سنتوقف عند أربع وقفات لإلقاء مزيد من الضوء على تركيبة حركة الشباب المجاهدين الداخلية وأيدولوجيتها القتالية، وصراعات الأجنحة فيها:

الوقففة الأولى: مؤسس الحركة «أبو الزبير»

يعدّ أحمد غودني، المعروف بأبي الزبير؛ الأمير الأطول عمراً لدى الحركة، والمؤسس الفعلي لها، وفي فترة حكمه، عرفت الحركة صعوداً لافتاً؛ حيث أضحت الحركة أشدّ خطورةً وقدرةً على التأثير في الحالة الأمنية على معظم مناطق الصومال، وبرز أبي الزبير قائداً فذاً تفوق على كثير من رفاقه الجهاديين العائدين من أفغانستان، فبالرغم من ارتباطه الوثيق مع القاعدة، بوصفه أحد المتدربين في أفغانستان، كان غودني طيباً وشاعراً مفوّهاً، وحاول أن يقدم حروبه على أنها امتدادٌ لحروب التحرر من الاستعمار، عبر الأشعار التحررية⁽¹¹⁾.

وفي أقلّ من سنتين من حكمه، باتت الحركة الفصيل الأقوى عسكرياً في الساحة الصومالية، وفي هذه الفترة دخل أكبر عدد من المقاتلين الأجانب في الصومال، لكنها تلقت، في نهاية 2008، خسارة جسيمة؛ بمقتل قائد جيشها، آدم عير، بقصف أمريكي.

وفي 2009؛ توصل «تحالف إعادة تحرير الصومال» والحكومة الصومالية إلى توافق رسمي في جيبوتي؛ صار بموجبه القيادي الإسلامي، الشيخ شريف الشيخ أحمد، رئيساً للحكومة الانتقالية الفيدرالية الصومالية، لكن أمير الحركة رفض هذا القرار، وشنّ حرباً ضروساً لسيطرة البلاد، وفعلاً نجح بسيطرة معظم البلاد ما عدا أحياء قليلة في مقديشو.

الوقففة الثانية: البنية الهيكلية للحركة

تعد حركة الشباب المجاهدين من أكثر الحركات الجهادية العالمية تطوراً، على المستوى الهيكلي التنظيمي والفاعلية الإدارية؛ إذ تطورت بنيته التنظيمية استناداً إلى المزوجة بين الأشكال التنظيمية الإسلامية التقليدية، وتنظيرات الفقه السلطاني الذي يؤسس لمفهوم الدولة السلطانية، فالحركة تقوم على مبدأ الغلبة والشوكة

Who is Al Shabaab leader Ahmed Godane? GlobalPost. October 01, 2013 · By Tristan McConnell -11
<https://www.pri.org/stories/2013-10-01/who-al-shabaab-leader-ahmed-godane>

والإمارة، إلى جانب الأشكال التنظيمية الحداثية لمفهوم الدولة الذي يستند إلى جهاز عسكري أمني وآخر أيديولوجي بيروقراطي.

ويحتلّ أمير الحركة أعلى هرم التراتبية الهيكلية، ثم مجلس الشورى، ثم أهل الحل والعقد، ثم وزارة الحرب وديوان بيت المال وديوان الإعلام ومؤسسات القضاء والحسبة والدعوة والبحوث. وهذه التراتبية المعقدة تفسّر عدم تأثر الحركة بالخسارات التي لحقتها بمقتل رجالها الأقوياء، مثل: الكيني صالح النبهان، المسؤول الأول عن المتفجرات في الحركة، وكذلك بمقتل قائد العمل الجهادي في شرق إفريقيا؛ فضول عبد الله محمد، الذي كان بمثابة جسر بين حركة الشباب وتنظيم القاعدة، وقد كان لفضول دور كبير في جلب موارد التنظيم والدعم المادي وجذب المقاتلين الأجانب، والأهم من ذلك؛ استفادت الحركة من خبرته العسكرية في كيفية صنع المتفجرات وتدريب الناس، وبوجوده اكتسبت الحركة التأثير الذي كانت تحتاج إليه وقتها⁽¹²⁾.

وقد شهدت الحركة، تحت قيادة أبي الزبير، تحولات عميقة من تنظيم سلفي جهادي إلى منظمة بيروقراطية عسكرية بالغة التعقيد، تستند إلى بنى تقليدية وحداثية، باتت تعتمد في بنيتها على أجهزة أمنية وجهاز بيروقراطي يسير شؤون ولاياتها، ومؤسسة عسكرية لتأمين حدودها، وعلى أجهزة دعاية تقوم بالترويج لأيدولوجيتها.

وفيما يتعلق بالنظام الداخلي للحركة؛ لدى الحركة مجلس شورى مكوّن من 52 شخصاً، وثمانية مكاتب بمثابة الوزارات، وتشمل: مكتب الدعوة، مكتب التنفيذ، مكتب الأمن، ومكتب الخارجية، مكتب المالية، مكتب الدفاع، ومكتب الإعلام، وكلهم يأتمرون مباشرة بأمر أمير الحركة، أحمد غودني.

الأجهزة الأمنية للحركة

تتألف الأجهزة الأمنية للحركة من ثلاثة أقسام، هي:

جهاز الحسبة: وهو بمثابة شرطة دينية، ومن مهامه: «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر»، ويقوم عناصره بحراسة الطرقات، لمراقبة الحياة العامة، ومنع المخالفات الشرعية، التي منها: الرقص والموسيقى في حفلات الزفاف، وإغلاق المقاهي ودور السينما، ومنع مشاهدة الأفلام السينمائية والنغمات الموسيقية في الهواتف المحمولة، ومنع مباريات كرة القدم أو مشاهدتها.

جهاز الأمنيات: وهو بمثابة المخابرات، وهم الجهة الأقوى داخل الحركة، وتتالف من عدة أقسام، بعضها يقوم بمهام المخابرات، وبعضهم ينشط داخل جبهات القتال، وبعضهم ينفذ العمليات الخاصة، وهم الكوماندوز والمسؤولون المباشرين عن المتفجرات اليدوية، كما يقومون بمرافقة قيادات الحركة العليا لحراستهم.

جهاز الجبهات القتالية: وهم المقاتلون الأماميون، ويتألفون من سرايا وألوية صغيرة العديد لا تتجاوز 40 مقاتلاً، وكل لواء لديه مسؤول خاص يتبع مباشرة لمكتب الأمير.

ويتبع النظام الإداري لدى الحركة نظاماً بريوقراطيّاً شديداً التراتبية، ويدفع أجوراً شهرية لمقاتليه، وحوافز مختلفة في المناسبات⁽¹³⁾.

الوقفه الثالثة: خلافتات المؤسسين

في أعوامه الأخيرة؛ اتجه الأمير السابق للحركة «أبي الزبير» إلى التسلط داخل الحركة، وقاد تطهيراً داخلياً في صفوف قيادات الحركة، وإثر ذلك حصلت تصدّعات كبيرة داخل الحركة؛ ففي عام 2011 بدأت بوادر خلاف بين قيادات الصف الأولى في الحركة تطفو إلى السطح، ودار الخلاف بين تيار يتزعمه أمير الجماعة أبي الزبير، وتيار معارض يتزعمه إبراهيم الأفغاني، وهو خلاف كان مردّه أن بعض القيادات اعتبرت أن أمير الحركة استأثر بالحكم، وانحرف عن مسارها المحدد سلفاً، وحولها من حركة إسلامية محلية إلى حركة موعلة في التشدد، وأن الأمير أخذ الحركة إلى مزيد من الراديكالية⁽¹⁴⁾.

وحاول إبراهيم الأفغاني التواصل مع أيمن الظواهري، زعيم القاعدة، وإطلاعه على المخالفات الشرعية التي وقع بها أمير الحركة، لكن أبي الزبير اكتشف الأمر، وقاد حملة تصفية داخل الحركة، شملت الأفغاني وعدة قياديين بارزين آخرين.

كما قامت الحركة باغتيال عدد من المقاتلين الذين أُدرجت أسماءهم في قوائم القتل / القبض، التي وضعتها المخابرات الأمريكية، وأسست الحركة شبكة من السجون السرية، التي تحبس بتهمة التجسس مواطنين من بريطانيا وأمريكا ودول غربية أخرى؛ قدموا إلى الصومال للانضمام إلى الحركة.

Inside Al-Shabaab. Op. Cit -13

Inside Al-Shabaab. Op. Cit -14

الوقففة الرابعة: التمدد إلى دول الجوار

حركة الشباب هي، أيضاً، الجهة الجهادية الصومالية الوحيدة التي شنت هجمات تستهدف أهدافاً خارجية، باستثناء نشاط الاتحاد الإسلامي داخل الإقليم الصومالي في إثيوبيا في التسعينيات، فقد توسع نشاط الحركة في فترة قيادة أحمد غودني إلى خارج الصومال، مثل كينيا وأوغندا، حيث نفذت الحركة بعض التفجيرات.

وتنبت الحركة عدة هجمات قاتلة خارج حدود الصومال؛ مثل الاقتحام الشهير التي نفذته الحركة لمركز التسوق في نيروبي، والذي أودى بحياة أكثر من 65 شخصاً، وهجوم 2010 في أوغندا خلال فترة نهائيات كأس العالم.

1- حزب الإسلام

تم تأسيس حزب الإسلام من قبل حسن طاهر أويس، في نيسان (أبريل) 2009؛ وهو عبارة عن تحالف مكون من الأولوية الجهادية الصغيرة التي كانت جزءاً من اتحاد المحاكم الإسلامية، مثلها مثل حركة الشباب، وشهد «حزب الإسلام» و«الشباب» عدة اشتباكات عنيفة، وواجه الحزب في الآونة الأخيرة مشاكل داخلية أضعفت من قدراته القتالية.

2- فرع داعش في الصومال

عام 2015؛ أعلنت مجموعة منشقة من حركة الشباب المجاهدين، بقيادة عبد القادر مؤمن، نفسها كفرع لتنظيم داعش في الصومال، واحتدم الصراع بينها وبين حركة الشباب؛ عبر المنافسة على ميدان الاغتيالات والتفجيرات، في سعي كل منهما لجزء نفسه منصب الاسم الجهادي الأبرز في شرق إفريقيا.

وينتشر فرع داعش في الصومال، في المناطق الجبلية الواقعة في ولاية بونتلاندي، منذ عام 2015، وقد أحرزت داعش في العام والنصف الماضيين تقدماً حقيقياً، فقد امتد نشاطها إلى مقديشو العاصمة، وعدة موقع كانت تابعة لحركة الشباب، بعد أن أعلنت حرباً ضد قيادات الحركة وعناصرها في مناطق تواجدها، حيث قتلت أكثر من 10 قيادات ميدانية كانت تنتمي لحركة الشباب، وأعلنت ولاءها لتنظيم داعش الدولي.

وجاء الهجوم، الذي وقع في 15 كانون الثاني (يناير) الماضي، في نيروبي، بمثابة ردّ على فكرة أن قوة «حركة الشباب» قد تراجعت، ومنذ ذلك الحين شنت الحركة هجمات عدة في مواقع تابعة للقوات الأجنبية التي تتواجد في الصومال، كما عززت الحركة من التزامها للولاء لتنظيم القاعدة؛ حيث أطلقت على العملية التي نفذتها ضد القوات الإثيوبية في منطقة «باي وبكول»، في منتصف كانون الثاني (يناير) الماضي، على اسم أحد قيادات تنظيم القاعدة، وأجريت العملية وفق توجيهات أيمن الظواهري، الذي حلّ محلّ أسامة بن لادن باعتباره القائد الأعلى للحركة.

ويتسق تلك النشاط الملحوظ بالمنافسة الجارية بين حركة الشباب وفرع تنظيم داعش، الذي يسعى إلى إيجاد موطئ قدم له في الصومال من خلال اجتذاب العناصر المنشقة عن الحركة استعداداً لمزيد من المعارك مع مقاتلي حركة الشباب التي يرغب في إزاحتها تماماً من المشهد، في حال استغل الحرب التي تشنها الحكومة الصومالية بمساعدة أميصوم والقوات الأميركية ضدّ الحركة⁽¹⁵⁾.

رابعاً: علاقة الجهادية الصومالية مع تنظيم القاعدة

منذ البداية، كانت تنظيم القاعدة ينظر إلى الصومال كمركز مستقبلي لعملياته، وطالما أراد أسامة بن لادن أن يجد موطئ قدم لتنظيم القاعدة في الصومال، وعين 'بن لادن' محمد فضول، من جزر القمر، زعيماً لتنظيم القاعدة في شرق إفريقيا، مع توجيهه أساسي بدعم الجهاد في الصومال. وكان فضول أحد العقول المدبرة لتفجير السفارتين الأمريكيتين، في كينيا وتنزانيا عام 1998، ونظم سلسلة من الهجمات ضد أهداف غربية في كينيا عام 2002.

وفي أوائل كانون الثاني (يناير) عام 2007؛ تناول أيمن الظواهري الوضع الصومالي في تسجيل نُشر على الإنترنت، بدأ الظواهري حديثه بالقول: 'أُتحدث إليكم اليوم، في الوقت الذي تنتهك فيه القوات الإثيوبية الغازية الصليبية تراب الصومال المسلم الحبيب؛ أدعو الشعب المسلم في الصومال إلى البقاء في ساحة المعركة الجديدة، التي هي إحدى ساحات المعارك الصليبية التي تشنها أمريكا وحلفاؤها والأمم المتحدة ضدّ الإسلام والمسلمين»، وناشد الظواهري المجاهدين بأن «يجهزوا الكمائن، والألغام

15 - صراع «داعش» و«الشباب» في الصومال: التنافس على ميدان الإجماع، صهيب عبد الرحمن، «حفريات»، 09-02-2019
<https://goo.gl/bpnFqJ>

الأرضية، والغارات، والعمليات الاستشهادية، حتى تقضوا عليهم كما تلتهم الأسود فرائسها"، حينها؛ قدر مسؤولون صوماليون أنّ أكثر من 450 مقاتلاً أجنبياً جاؤوا إلى الصومال للمشاركة في قتال حركة الشباب.

وأعلنت حركة الشباب، بشكل رسمي، تحالفها وولاءها لتنظيم القاعدة، عام ٢٠١٢، أي بعد مقتل أسامة بن لادن الذي كان يفضّل الاحتفاظ بعلاقات شبه رسمية دون انضمام، لكن سرعان ما رأت القيادة الصومالية المتنفذة لحركة الشباب؛ أنّ السيل القادم إليها من المقاتلين الأجانب هو تهديد لسُلطتها، وبحلول عام 2011؛ وقع شقاق داخل الحركة، قذف المقاتلين الأجانب في وجه القيادة الصومالية، وجرفهم إلى صراع دموي، سيؤدي في نهاية المطاف إلى تصفية معظم المقاتلين الأجانب.

وشنت الحركة حملة وحشية على من عدّتهم جواسيس في صفوفها، كما انشق عن الحركة مختار ربو «أبو منصور» الرجل الثاني في الحركة، بعد أن انتقد زعيم الحركة أبي الزبير علناً، واتهمه بإصدار أوامر تصفية المقاتلين الأجانب، والتآمر لقتل بعض القيادات في الحركة، وهرب ربو من الأراضي التي تسيطر عليها حركة الشباب إلى معقل عشيرته.

وتفاقم تركيز القاعدة على القرن بسبب التدخل الإثيوبي، في كانون الأول (ديسمبر) 2006، وفي كانون الثاني (يناير) 2007، دعا أيمن الظواهري المسلمين إلى المشاركة في الجهاد ضد القوات الإثيوبية، التي أشار إليها باسم «عبيد أمريكا»، استمر هذا التركيز مع تزايد قوة حركة الشباب، وقد تم الإعلان عن تعهدات بالتعاون المتبادل في وسائل الإعلام، وتم نشرها على الإنترنت؛ حيث يوجد عدد من مقاطع الفيديو التي تظهر اتصالات بين كبار أعضاء حركة الشباب وتنظيم القاعدة، ومن الأهمية بمكان التصريحات التي أدلى بها مختار علي ربو، المعروف بـ «أبو منصور»، في أيار (مايو) 2008، قائلاً إنّ «حركة الشباب هي جزء من حركة الجهاد العالمية، ويقفون خلف القاعدة»، وقد تم تأكيد ذلك لاحقاً في بيان من القاعدة.

خامساً: أمريكا والجهاديون الصوماليون

خاضت الولايات المتحدة مستيعة بإثيوبيا وأمراء الحرب الصوماليين حرباً ضروساً ضدّ الجهاديين، فمنذ فترة التسعينيات؛ نشطت المخابرات الأمريكية في الصومال بشكل قوي، ضمن سياستها الرامية للحرب على الإرهاب، والتي تصاعدت منذ تفجيرات

السفارتين الأمريكيتين في دار السلام ونيروبي، عام 1998، ووظفت أمريكا في سياق ذلك العشرات من أمراء الحرب؛ حيث كانت تدفع لهم أموالاً طائلة، على سبيل المثال؛ كان يتلقى محمد قنيري أفرح لوحده 150 ألف دولار شهرياً من أمريكا.

وكان بداية التدخل الأجنبي العسكري؛ تذرّع الولايات المتحدة بفترة الجفاف 1992/1993، لتعلن أنّها سوف تتدخل «إنسانياً» لمواجهة الجفاف والمجاعة، فقامت بإرسال قوّة تعدادها 27 ألف جندي، من قوات النظام الدولي الجديد، في أعقاب النجاح الساحق في طرد العراق من الكويت عام 1991، وكان في ظنّ الجيش الأمريكي أنّ عملية الصومال ستكون سهلة وسريعة بالمقارنة، وثبت في النهاية أنها كانت ورطة عسكرية⁽¹⁶⁾.

وقد تعاضم القلق الأمريكي من أن يصبح الصومال ملاذاً لزعماء القاعدة، فأقامت معسكر ليمونير في جيبوتي بوصفه القاعدة الأمريكية الوحيدة في القارة الإفريقية، وفي اتساق مع هذه العمليات أتى تشجيع الولايات المتحدة الغزو الإثيوبي للإطاحة باتحاد المحاكم الإسلامية، وقدمت له الدعم الجوي، عام 2006، بغرض التخلص من الإسلاميين المتشددین الذين سيطروا على الحكم آنذاك، كذلك قضية القراصنة مثلت تدخلاً واسعاً في الحدود البحرية الصومالية؛ إذ تحتشد سفن أمريكية وغربية كثيرة بدعوى محاربة القراصنة، ومع تبني قرار إرسال قوات اقليمية لمساعدة الحكومات الصومالية الانتقالية الضعيفة، عادت إثيوبيا من جديد، عام 2012، لتكون جزءاً من تلك القوات، والتي ما تزال تجري رحى الحرب بينها وبين حركة الشباب.

وفي الآونة الأخيرة؛ اتجهت الولايات المتحدة، تحت قيادة الرئيس دونالد ترامب، إلى إستراتيجية القتال عن بعد، عبر هجمات الطائرات بدون الطيار، واكتفت بنشر حوالي 500 من قواتها في الصومال، مهمتهم تدريب القوات الصومالية حتى يتمكن الجيش الصومالي في نهاية المطاف من الدفاع عن نفسه.

ورغم أنّ الغارات الجوية أسفرت عن مقتل المئات من مقاتلي الشباب، إلا أنّ الحركة ما تزال تمتلك قدرة كبيرة على تنفيذ هجمات إرهابية، وأحد أسباب صمود الحركة أمام هذه الهجمات هو ترقيتها المقاتلين الذين يمتعتون بسجلات قتالية في العمليات العسكرية إلى المناصب العليا.

16 -بيتر وودوارد، المنافسة الدولية في دول القرن الإفريقي، العرب والقرن الإفريقي: جدلية الجوار والانتماء، (المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، 2013)، ط 1، ص 201

سبب آخر، يذكره كتاب «داخل حركة الشباب»؛ هو قدرة الحركة على تمويل مقاتليها، ووفق مراقبين تابعين للأمم المتحدة؛ فقد نما نظام الضرائب التابع الحركة، حيث وصل إلى نقطة يُحتمل أن تحقق فيها الحركة فائضاً في الميزانية⁽¹⁷⁾.

الخلاصة: مستقبل الجهادية الصومالية

إنّ حركة الشباب، وبعد مرور سبعة أعوام على طردها من العاصمة مقديشو، ما تزال تحتفظ بمساحات شاسعة من جنوب ووسط الصومال، وهي قادرة على التمدد والتوسع عبر ولاياته الخارجية، وعلى زعزعة الاستقرار في مناطق خارج الصومال عبر خلاياه النائمة وذئابها المنفردة، كما كشفت عملياته الأخيرة في دول الجوار، خاصة في كينيا، عن طبيعة بنائها الأيدولوجي وإستراتيجياتها وتكتيكاتها القتالية؛ فهي تستند إلى سرديّة خطابية تطرح نفسها بمقاومة القوات الأجنبية في الصومال، باعتبارها اعتداءً أجنبياً على الصومال.

وتعاني الحركة، التي تعد اليوم الوجه الأبرز للجهادية الصومالية من إفلاس في المشروع؛ إذ تحولت في الأعوام الأخيرة من جماعة سياسية - دينية إلى مؤسسة إجرامية، ترتكب العنف بشكل عشوائي، فقط لإثبات وجودها؛ لكن هذا الإفلاس في المشروع والخطاب يجد مساندة لافتة للنظر لدى فئات وجماعات في أنحاء العالم الإسلامي المختلفة، خاصة من طرف داعش، التي تعاني هي الأخرى تراجعاً كبيراً في معقلها الرئيس في العراق والشام.

ففي العامين الأخيرين؛ باتت الصومال ساحة بديلة لدى الجهاديين الجدد، وعلى خلاف تجارب المهاجرين السابقين، لم يعد هدف الجهاديين الأجانب الجدد يقتصر على الجهاد التقليدي القائم على التضامن والنكاية، بل صار يتجاوزهم إلى الهجرة والاستقرار، والمساهمة في جهاد التمكين وإقامة الدولة الإسلامية في الصومال، بوصفها أحد الساحات المفضلة لكل من داعش والقاعدة.

ونلاحظ من ذلك؛ تصاعد الصراع بين القاعدة وداعش في الصومال مؤخراً، ففي حين تريد القاعدة الاحتفاظ بأحد مواقعها التاريخية، فإن داعش تولى أهمية خاصة للصومال، بسبب موقعه الإستراتيجي، والهشاشة الأمنية التي يعانيها منذ عقود، وبالتالي فإن المشهد الجهادي في الصومال مرشح لمزيد من التطورات المقلقة.



hafryatnews



hafryatnews



hafryat news



hafryatnews



hafryatnews



hafryat news